

الوحدة الإسلامية والشيخ التسخيري

نموذجاً

حوار مع سماحة الشيخ عبد الناصر الجبري*

السؤال: ماذا تقولون في الوحدة الإسلامية وما هو تشخيصكم لمدى أهميتها في هذا الوقت على وجه الخصوص؟

الشيخ الجبري: أولاً، لا بد وأن نعلم بأن الوحدة ليست عملاً سياسياً، بقدر ما هي عمل ديني وأمر رباني، والله تبارك وتعالى فرض علينا أن نكون متحدين ومعتصمين بحبله وكتابه. فقال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾؛ لأن الاعتصام بحبل الله فيه عصمة للأمة وفيه الحفظ لها، والبعد عن الخطأ، لذلك هو فرض وليس أمراً اختيارياً، فهو أمر وكل أمر يفيد الوجوب كما في الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها من الفرائض. وإن هذه الأمة واحدة، وذلك مقرر أيضاً في كتابه ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾.

وعليه فإن هذه الوحدة لا خيار لنا فيها، طالما أنها أمر مفروض من الله تعالى، وفي مراحل التاريخ كانت الأمة قوية عندما كانت موحدة، وضعفت عندما تفرقت وتمزقت، حتى جاء القرن العشرين ونشأ في النصف الأول منه خطابات بين علماء المسلمين، ولا سيما المسلمين من الشيعة والسنة، وأسسوا دار التقريب، ومجلة ليطلوا منها على الناس. ولكن هذه الفكرة المقدسة الجميلة بقيت محصورة التداول إلى أواخر القرن العشرين عندما نجحت الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني رحمه الله وأفاض الله تعالى علينا من أنواره، حيث طرح الإمام فكرة الوحدة من خلال موقع الدولة، وبدأت هذه الوحدة تأخذ حيّزها، حتى نشأ

* عميد كلية الدعوة الإسلامية.

منها تجمع علماء المسلمين عام ١٩٨٢ وهو لم يزل إلى الآن بفضل الله تعالى . ونشأ كذلك من هذه الثورة مجمع التقريب بين المذاهب بالجمهورية الإسلامية في إيران .

واليوم هذه الفكرة تتأصل أكثر، ويدعى إليها مع المنغصات الموجودة المصدرة إلينا من قبل أمريكا، التي تدفع اليوم ملايين الدولارات من أجل تمزيق كلمة المسلمين وتشثيت صفوفهم، وهي تحاول ذلك في العراق علماً أن العراق قد تداخلت عشائره ومذاهبه تداخلاً لا تستطيع أن تميّز الواحدة منها عن الأخرى، ومع ذلك جاء الاستعمار الأمريكي بكل الوسائل الإعلامية والمالية والإغرائية والدينيوية لكي يحدث فرزاً طائفيّاً لا سيما بين المسلمين السنة والشيعة في العراق، وهو يحاول ذلك أيضاً في لبنان بعد اغتيال رئيس الوزراء، إلا أن محاولته فشلت، وستفشل أيضاً في العراق بإنشاء الله . بما أن الوحدة أمر رباني فنحن نسير بركاب هذا الأمر، ونعمل عملاً لا رياء فيه حتى نلقى الله على ذلك لأنه دين ونتعبد الله في ذلك . ونسأله أن يرينا وحدة الأمة حتى تدخل بيت المقدس فاتحة منتصرة، حيث لا قوة إلا بذلك .

رحمة الرب : انطلاقاً مما تفضلتم به، نجد أن هناك نوع فرض ووجوب فيما يرتبط بالوحدة والاعتصام بحبل الله تعالى، فما هو تقييمكم لدى انعكاس هذه المفاهيم بنحو تحريكي على ساحتنا الإسلامية، وهل تجدون أن الحركات الموجودة الآن في سبيل توحيد المسلمين هي بمستوى الدفع المتمثل بكلام الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم عندما يتحدث عن التوحيد؟

الشيخ الجبري: الوحدة هي واحدة من نظم كريم من الأوامر والنواهي الموجودة في القرآن الكريم . وهي واحدة من الفرائض، وتعود هذه الوحدة إلى واقع المسلمين وتمسكهم وتمثلهم لعموم القرآن الكريم . فإذا كان المسلمون حريصين على تعاليم القرآن وامتثال أوامره فإنك ستجد أن نسبة الوحدة فيما بينهم عالية، أما إذا كانت نسبة امتثالهم لأوامر الله ضعيفة فإنك ستري أن الوحدة تخضع لهذه المعادلة .

رحمة الرب : هذا يأخذنا إلى التساؤل أنه ما هي الموانع التي تقف أمام وحدة المسلمين بعد تسليمنا بأن المانع الأول هو الابتعاد عن القرآن الكريم؟

الشيخ الجبري: عندما تتكلم عن الوعي تصل إلى نفس النتيجة، وعندما تتكلم عن الجهل تصل إلى نفس النتيجة أيضاً . فالمسلمون بعيدون عن القرآن الكريم، وهذا ليس محصوراً في قضية السنة والشيعة، فما تتعرض له الأمة من تمزيق بين لبنان وسوريا مثلاً هو جهل، وعدم امتثال لأوامر الله، وهما السبب في التفريق بين من هو عربي وغيره، وهما السبب أيضاً في أن تعتبر أجنبياً في بعض البلدان العربية إن ذهبت إليها فيما لو لم

تكن حاملاً لجنسية ذلك البلد، وهكذا في الكثير من الأمور الأخرى، وهي كلها نوع من الفرقة المذمومة في دين الله تعالى. إذن لا تنحصر المسألة بين السني والشيوعي، بل أنت تجدها أحياناً فرقة جغرافية، إلى جانب الفرقة المذهبية. نحن بحاجة إلى الوعي، وإلى أن يعود الناس إلى دين الله، وأن نفهم معنى الأمة، ونعرف إلى من ننتسب، هل ننتسب إلى أمريكا أم إلى غيرها، ولا أقصد هنا الجغرافيا بل الفكر.

آية الطيبة: لاحظت من كلامكم وجود شيء من الصعوبة في الفصل بين الاعتبار السياسية وبين الحديث عن الوحدة كمفهوم وحركة، وهذا يؤدي إلى القول بأنه لعل المؤدي إلى الفرقة ليس هو البعد العقائدي للمسلمين بل التفاعلات السياسية التي سببها هذا التناقض الموجود عالمياً بين الدول سيما الكبرى منها، فما هو رأيكم بذلك؟

الشيخ الجبري: في الحقيقة، لا ينحصر الأمر في المعايير السياسية، بل هناك المعايير الجاهلية. وليس هناك في عقائد الناس فيما بينها خلاف كفري، أو اختلاف فيه زندقة أو فسق. إنما هو اختلاف اجتهادي وهو طبيعي. ولكن في بعض الأحيان، حتى تحافظ كل مجموعة على كيانها فإنها تعتمد على التحذير من الآخرين بألفاظ فيها ما يوحي بخطورة الخروج من الملة، وهنا تنشأ المشكلة. والاختلاف الاجتهادي ليس خروجاً عن النص، بل هو اجتهاد في النص وهذا أمر طبيعي كما ذكرت، وهو مطلوب، فممنوع أن يؤجر أحد منا فكره وعقله إلى الآخرين، لأن العقل مناط التكليف في شريعتنا. لذلك علينا معرفة أن الخلاف الموجود بين المسلمين ليس أمراً عقدياً، حتى في المباحث الكبيرة، بل هو في المسائل الاجتهادية، فلم ينكر أحد منا نصاً ورد في القرآن، أو السنة الشريفة.

وبناء عليه، إن سبب الفرقة إنما هو الجهل والجاهلية، أن يجهل المسلمون بعضهم، وأن يكون كل منا نظرتة للآخر من خلال كتب أعدائه وليس من خلال كتبه هو ومراجعته.

آية الطيبة: هذا يأخذنا إلى الحديث عن سماحة الشيخ محمد علي التسخيري فهو قد ذكر في كتاب (حول الوحدة والتقريب) مفهوم الوحدة، واعتبرها متقومة بأساسين هما العقيدة الحية الشاملة، والرابطة القلبية، فماذا نضيفون على ذلك؟

الشيخ الجبري: أولاً سماحة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري هو من رجالات الأمة عموماً، وكذلك هو من رجالات الثورة خصوصاً، وقد كان لسماحة الشيخ دور مهم في حركة الثورة بعالمنا الإسلامي، ثم بعد ذلك في حركة الدولة في عالمنا الإسلامي. كما كان لسماحة الشيخ منطقته الوحدوي، وهذا المنطق لم يكن بمعنى النصوص الفقهاء فحسب، بل أذكره قبل عشرين عاماً عندما وقف في بيروت في الجامعة العربية مدافعاً عن منطق الثورة والدولة في آن واحد في إيران، أمام الهجمة الشرسة من قبل أعداء الإسلام على الجمهورية الإسلامية.

لم تكن حركته حركة إيرانية، بل كانت حركة أوسع في هذا العالم الإسلامي والعالم العربي على وجه الخصوص، فهو عضو في مجمع الفقه الإسلامي بجدة، وهذا ينبثق عن فكره في ما يرتبط بوحدة الأمة. وأشار هنا إلى أن مجمع الفقه في جدة منبثق عن المؤتمر الإسلامي، وهذا يدل على أنه كان يجلس بين ثلة كبيرة من إخوانه العلماء ويتناقش معهم، ويحاورهم ويحاورونه، وأنت تعلم أن الحوار يحتاج إلى محبة، وكذلك يحتاج إلى رؤية صادقة إلى هذه الفكرة. فإذن هو يؤمن بموضوع الوحدة.

أبي الطيب: برأيكم ما هي السمة الأبرز التي تميّز الشيخ التسخيري في حركته مع أن هناك رجالات قد عملوا في هذا المضمار وكان لهم الأثر الطيب؟

الشيخ الجبري: سماحة الشيخ التسخيري رجل ناضج على المستوى الفكري، ورجل مملوء بالإيمان بهذه الأفكار، وهذا الإيمان ليس مجرد إيمان نظري، بل هو قد انتقل من الموقع النظري إلى الموقع العملي، كما أن وجوده في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية في ليبيا، وهذا المؤتمر العام الذي يحدث هو حركة وانطلاقة من سماحة الشيخ التسخيري إلى هذه الأمة التي يتألم لفرقتها، وهو أيضاً مع مرضه الذي أصاب جسده لم يبتئن عن الحركة من أجل وحدة الأمة. وهذا يدل أيضاً على عمق هذه الفكرة التي تعطيه طاقة وتدفع به مع ضعف جسده للانتقال من مكان إلى مكان لأجل وحدة الأمة، والدفاع عنها وعن الفكرة الوحادية التي بزغت عملياً مع بزوغ الثورة وانتصار الإمام الخميني رحمه الله في أواخر القرن الماضي.

أبي الطيب: ككلمة أخيرة، ماذا تقول في سماحة الشيخ التسخيري؟

الشيخ الجبري: نحن دوماً نعرف قيمة رجالاتنا بعد وفاتهم، وهذا مما يؤسف له، فينبغي أن نعرف قيمتهم في حياتهم، وأن نستفيد من وجودهم. سماحة الشيخ التسخيري، ينبغي أن نستفيد من حياته في وجوده، ومن حركته وفكره، فهو لم يحصر نفسه في مكان ضيق، ولا في واحة فكرية صغيرة، بل كان منطلقاً ولا يزال وعلينا الاستفادة من انطلاقاته، فنسأل الله أن يطيل بعمره ويحسن عمله بصحته وعافيته والله الموفق.

أبي الطيب: ودعوتكم هذه هي أول الغيث، فضيلة الشيخ عبد الناصر الجبري عميد كلية الدعوة الإسلامية شكراً لكم.